https://majs.journals.ekb.eg
2022; Dec (10):124:135.
Doi: 8.24394 /JAH.2022 MJAS-2211-1111
ISSN: 2735-430X (Print); ISSN: 2735-4318 (Online)

إى أكس ليبريس من وسيلة لإثبات الملكية الفكرية إلى عمل فني مطبوع قائم بذاته

عبير عبد العزيزعبدالغني البنا[1] ، عبدالسلام سالم عبدالسلام[2] ، محمد عطية عبدالجميل[3]

باحثة[1]، أستاذ مساعد[2]، مدرس[3] قسم الجرافيك - كلية الفنون الجميلة – جامعة المنيا

Email address: abeerabdulaziz.bana@gmail.com

To cite this article:
Abeer Bana, Journal of Arts & Humanities.
Vol.10, 2022, pp.124 -135. Doi: 8.24394/JAH. 2022 MJAS-2211-1111
Received: 30, 11, 2022; **Accepted**: 18, 12, 2022**; published**: Dec, 2022

الملخص :

لقد وصلت الطباعة إلى درجة من الإتقان على يد الألماني "يوهان جوتنبرج*1398-1468) **"Johannes Gutenberg**) وكان ذلك في المدة بين عامي 1439 و1450م، فقد ظهر جليًّا أن في إنتاج الكتب تطورًا واضحًا، ومن ثَمَّ انتشارها بين الناس، فأصبح كل مَن يمتلك كتابًا يريد بشيء ما أن يُعبِّر عن امتلاكه إياه بتوقيع أو علامة أو ختم، ومن ثَمَّ أصبح الهدف الذي يرغب فيه المالك هو التمييز بين نسخته الخاصة ونسخ الآخرين، فبدأ استبدال إدخال أوراق صغيرة مثبتة على الغلاف الأمامي للكتاب بالتوقيع المكتوب بخط اليد، وكان لها محتوى جمالي وأصول في فنون الجرافيك، وأُنتِجَتْ وفقًا لمبادئ تقنيات الطباعة وعُرِفَتْ باسم "إكس ليبريس Ex libris".

والـ "إكس ليبريس" هي كلمة لاتينية تهدف إلى التعبير عن وسيلة اتصال تكون معلقة في الصفحات الأولى للكتاب، بحيث لا تتجاوز أبعاد طباعتها 13 × 13سم، والتي توفر لنا معلومات عن صاحب الكتاب، وتعادلها في اللغة الإنجليزية كلمة **"Bookplate"** أي لوحات أو ملصقات الكتب، لأنها كانت تُطبَع على أوراق خارجية، ثم تُلصَق داخل الكتب، وقد كانت مستخدمة في أوروبا بشكل عام حسب نقشها اللاتيني **"Ex-libris"** وتعني حرفيًّا "من.. مكتبة" أو "تنتمي إلى.. مكتبة"، والجدير بالذكر أنه قد بدأ ظهورها كعلامات لإثبات ملكية الكتاب في ألمانيا.

الكلمات الدالة :

إى أكس ليبريس ، الملكية الفكرية ، عمل فني مطبوع .

المقدمة :

"إكس ليبريس" هي كلمة لاتينية تهدف إلى التعبير عن وسيلة اتصال تكون معلقة في الصفحات الأولى للكتاب، بحيث لا تتجاوز أبعاد طباعتها 13 × 13سم، والتي توفر لنا معلومات عن صاحب الكتاب، وتعادلها في اللغة الإنجليزية كلمة "Bookplate" أي لوحات أو ملصقات الكتب، لأنها كانت تُطبَع على أوراق خارجية، ثم تُلصَق داخل الكتب، وقد كانت مستخدمة في أوروبا بشكل عام حسب نقشها اللاتيني "Ex-libris" وتعني حرفيًّا "من.. مكتبة" أو "تنتمي إلى.. مكتبة"، والجدير بالذكر أنه قد بدأ ظهورها كعلامات لإثبات ملكية الكتاب في ألمانيا ، فانتشر استخدام أعمال الـ"إكس ليبريس" من ألمانيا إلى فرنسا، ثم بعد وقت كثير انتقلت إلى إنجلترا والبلدان المنخفضة وأمريكا الشمالية. وبالرجوع إلى إنجلترا نجد أنه في أواخر القرن السابع عشر الميلادي كانت تُمثَّل الأعمال الإنجليزية المبكرة بواسطة الغطاء الذي يغلف درع الأسلحة، وهو ما يعرف باسم شعارات النبالة التي كانت تُستخدَم لتصميم وعرض وتسجيل أغلفة الأسلحة والشارات التي غالبًا ما كانت تُستخدَم لتمثيل الأفراد أو الجماعات والبلدان والمدن والأسر والكنائس، وشعار النبالة كان يُنفَّذ في القدم على دروع الفرسان، ولأول مرة استُخدِم شعار النبالة كان في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي في ميادين

القتال كبيان لهُويَّة الجنود المتحالفة، فالمدى الزمني لتاريخ الـ "إكس ليبريس" 400 عام على الأقل.

وفي عام 1880م صُنِّفَتْ حسب الأنماط الأساسية من شعارات النبالة والتي تُعَدُّ السمة الأساسية لها، فيمكن تصنيفها حسب نمط الزخرفة المحيط بها، فانقسمت إلى ثلاث مجموعات وهي شعارات النبالة المبكرة (القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي) والعصر الجورجي** (القرن الثامن عشر) وشعارات النبالة الحديثة (القرن التاسع عشر).

والجدير بالذكر أنه وفي كثيرٍ من الأحيان تكون أعمال الـ"إكس ليبريس" ذات أهمية تاريخية، غير أنه من الممكن لجامع أعمال الـ"إكس ليبريس" معرفة عمر العمل غير المسجل بالتاريخ، فلكل عمل فني في حقبة زمنية محددة خصوصيته المستقلة وخصائصه المميزة. وبالإضافة إلى القيمة التاريخية نجد أن هنالك جانبًا آخر ذا أهمية لا تقل عن الأهمية التاريخية، والذي يتعلق بجودتها الفنية، فتُنفَّذ بواسطة فنانين متخصصين، إذ يُصمِّمها أشهر فناني الحفر الطباعة. ومن بين أهم فناني الحفر والطباعة في هذا المجال هو الفنان الألماني "ألبرخت دورر* (1471_1528 "Albrecht Dürer"م) والذي يُعتبَر رأس الحربة لهذا النوع من الأعمال الفنية.

واستمرت الـ "إكس ليبريس" عدة قرون في خدمة الكتاب. ومع ذلك شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر اضمحلالًا وسقوطًا لهذا الشكل من الزخرفة والمستخدم في إثبات ملكية الكتب. ولم يشهد بداية القرن العشرين فكرة إحياء الـ "إكس ليبريس" فحسب، بل شهد أيضًا تحررها من الجانب الوظيفي الأصلي من أجل الكتاب ليتم تقديمها كعمل فني قائم بذاته.

ففي مطلع القرن العشرين، ومع ظهور الفن الجديد والذي يعرف باسم "آغ نوفو** Art Nouveau" حدث تغييرٌ كبيرٌ فُصِلَتْ فيه أعمال الـ "إكس ليبريس" تدريجيًّا عن الكتب وأصبحت فنًّا مستقلًّا يجمِّعه محبوه من مختلف أنحاء العالم، واليوم لم تعد وظيفته تعمل على حماية حيازة الكتاب أو الحفاظ عليها أو تسجيلها فقط، بل استُخدِم اسم "Ex-libris" في عملية التبادل بين جامعي ومحبي هذا النوع من الفن، والتي أصبحت مطبوعاتها فنًّا قائمًا بحد ذاته له أصوله وقيمته الفنية.

فتأسست جمعيات هواة جمع أعمال الـ "إكس ليبريس" في إنجلترا أولًا وكان ذلك عام 1898م، ثم في ألمانيا وفرنسا، ثم في الولايات المتحدة لاحقًا، وعُقِدَتْ المؤتمرات الدولية لهذا الشكل الفني وهذا ما أتاح الفرصة إلى تأسيس ما يسمى بالاتحاد الدولي لجمعيات الـ"إكس ليبريس" والذي يعرف باسم "FISAE". والذي يُشارك فيه فنانو الجرافيك وجامعو الـ"إكس ليبريس" من جميع أنحاء العالم ، فعلامات إثبات الملكية ليست بالمستحدثة، فقد ظهرت عند المصريين القدماء في مصر بين عام (1391_1353ق.م) في عهد الملك أمنحتب الثالث* وتوالى بعد ذلك ظهورها في حقبة العصور الوسطى، إذ كانت تُنسَخ الكتب من قبل الرهبان في الكنائس، فظهرت عبارات تهديد كعلامات لإثبات ملكية الكتاب المقدس للمكتبات الكنسية، ومع انتشار المكتبات أصبح من الضروري وجود علامات للملكية، فُصنِع ما يسمى بعلامات النار التي كانت توضع على قصاصات الكتاب عادة بالجزء العلوى أو الرأسي للكتاب بواسطة قطعة من المعدن تمثل رمزًا خاصًّا للجهة المالكة تُسخَّن ثم وضعها مباشرة على أطراف الكتاب.

شكل 1 توضيح لعلامات النار على اطراف الكتاب

ومع اكتشاف الطباعة في القرن الخامس عشر على يد "جوتنبرج" انتشرت المطابع، فنفَّذ العديد منها ما يُسمَّى بالعلامة التجارية للطابعة لتحديد الجهة المنتجة للكتاب، ومن أشهر تلك المطابع المطبعة الفينيسية لمالكها "ألدو مانوتسيو** Aldus (1449_1515 "Manutius"م) فعمل أول علامة تجارية لمطبعته على شكل دولفين ومرساة وتعتبر أول علامة "إكس ليبريس" لإثبات الملكية.

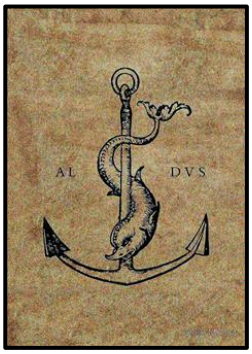

شكل2 أول علامه تجارية لمطبعة لإثبات الملكية على شكل دولفين ومرساة

وتوالى بعد ذلك استخدام هذا الشكل الفني لإثبات الملكية بتقنيات الطباعة المختلفة، وانتشر في معظم أنحاء العالم خصوصية لهذا الشكل الفني، فظهر محبون ومهتمون به كعمل فني قائم بحد ذاته مع الحفاظ على كلمة "Ex-libris" في العمل الفني.

مشكلة البحث:

هل يمكن اعتبار "إي إكس ليبريس" عملًا فنيًّا مطبوعًا قائمًا بذاته؟ أم سيتخلى عن اسمه؟ أم لا بدَّ من عرضه كعمل فني مستقل إلى جانب الكتاب الذي صُنِعَ من أجله؟

أهداف البحث:

يدرس الباحث دراسة موضوعية وشاملة للـ"إي إكس ليبريس" كونه عملًا فنيًّا مطبوعًا يهدف إلى:

1.تعرُّف الـ"إي إكس ليبريس" كونه عملًا فنيًّا مطبوع لإثبات الملكية.

2.الكشف عن التقنيات والأساليب المستخدمة في أعمال الـ"إي إكس ليبريس".

3.إثبات أن الـ"إي إكس ليبريس" عمل فني مطبوع قائم بذاته.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في دراسة:

4.علامات إثبات الملكية المختلفة وتاريخ ظهورها.

5.الـ"إي إكس ليبريس" كأحد مجالات فنون الحفر والطباعة في القرن الثامن والتاسع عشر وتأثره بالحركات الفنية والأساليب التقنية.

6.تعرُّف أهم الفنانين والمدارس الفنية المؤثرة في الـ"إي إكس ليبريس".

منهج البحث:

يتبع البحث : المنهج التاريخي في دراسة ماهية الـ"إي إكس ليبريس" كونه وسيلة لإثبات الملكية للكتاب.

المنهج التحليلي: من خلال دراسة تحليلية لبعض أعمال الـ"إي إكس ليبريس" المطبوعة منذ ظهورها حتى الآن.

حدود البحث:

حدود زمنية: من القرن الخامس عشر الميلادي حتى الآن.

حدود مكانية: أوروبا وأمريكا.

فروض البحث: يفترض الباحث أن:

1.الـ"إي إكس ليبريس" تطور تشكيليًّا خلال استخدامه كونه وسيلة لإثبات الملكية.

2.هل فقدت لوحات الـ"إي إكس ليبريس" مضمونها عندما انتقلت من مرحلة حفظ الملكية الفكرية إلى مرحلة الاستقلال كعمل فني حر.

الـ "إكس ليبريس Ex Libris" وأهميتها :

شكل 3 يوضح عمل "إكس ليبريس" على الصفحة الأمامية للكتاب.

كانت الكتب أصولًا ثمينة لعدة قرون كأداة لتخزين المعلومات ونقلها إلى الأجيال التالية. كونها لا تُقدَّر بثمن لأنها تحتوي على أسس العلم والفنون والتكنولوجيا والإيمان، وقد كانت الكتب في أيدي الملوك والكنائس والأغنياء، ولهذا كان من المُحتَّم أن تحتوي تلك الكتب التي لا تقدر بثمن على علامة أو ملصق توضح لمن تؤول إليه، سواء كان في السياق المؤسسي أم الشخصي. (شكل3) إذ سُمِّيَتْ هذه الملصقات المصممة خصوصًا لإثبات ملكية الكتاب باسم الـ"إكس ليبريس".

فهي وسيلة اتصال تُلصَق في الصفحات الأولى من الكتب التي لا تتجاوز أبعاد طباعتها 13×13سم كما ذكرنا من قبل (شكل 4) والتي تعطينا معلومات واضحة عن صاحب الكتاب. وقد كانت مستخدمة في أوروبا بشكل عام حسب نقشها اللاتيني "Ex-libris" ، غير أنها تُنفَّذ على أنها ممثل لمالك الكتاب وليست ممثلًا للكتاب نفسه، وكانت تُنفَّذ في المكتبة الشخصية للمالك، وبطريقة ما يمكن اعتبارها الصلة بين الكتاب وصاحبه.

شكل 4 توضح الحجم الحقيقي للإي إكس ليبريس

كما يمكن أيضًا لعمل الـ"إكس ليبريس" أن يضيف القيم الجمالية والقيمة النقدية للكتاب، فيعتبرها النقاد أقدم علامة تُعبِّر عن حب الإنسان الصادق لملكيته الفكرية.

وفي بعض الأحيان وهو أبسط أشكالها نجد أنها تحتوي على الأحرف الأولى أو الاسم الكامل لصاحبها؛ تمامًا كما في (الشكل 5) في حين أن أكثرها تطورًا وفنًّا نجدها تحتوي على رسومات أو مطبوعات لموضوعات مختلفة. فأصبح عمل الـ"إكس ليبريس" بلا شك هو الطريقة الفنية المثالية لإثبات ملكية الكتاب. ولذلك ازداد الاهتمام بها وازداد إنتاجها، فعندما انتشر الكتاب وأصبح في متناول الجماهير، بدأ التعامل مع أعمال الـ "إكس ليبريس" على أنها أعمال فنية مستقلة في حد ذاتها.

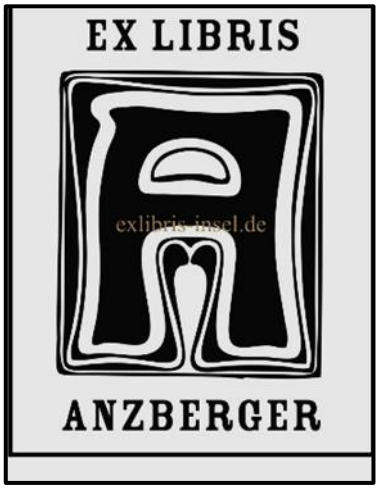

شكل (5) اكس ليبريس كعمل فني مستقل .

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الـ "إكس ليبريس" في أوروبا، وخاصةً في ألمانيا، وبالتحديد في القرن الخامس عشر الميلادي، هو ظهور العديد من الأقوال الهدامة مثل (أحمق من يُقرِض كتابًا... وأكثر حماقة من يعيده) إلى جانب ظهور أول الكتب المطبوعة وحاجتها إلى الحماية. بالإضافة إلى ذلك تضاعف الاهتمام بالـ "إكس ليبريس" من خلال تسليط الضوء على هدفها المتمثل في أن تكون موضوعًا لتمثيل صاحب الكتاب وصورته الشخصية. فنجد أنها تُعرِّف القارئ بالمالك وتمثله كعلامة ترمز إلى صاحب الكتاب. تمامًا مثل الوشم على الجسم، مثل ختم الاسم، مثل التوقيع الذي تستنسخه يدنا من حركات أجسادنا، فهو رمز الشخص المعني.

وقد اهتم الفنانون بهذا الشكل الفني الذي يمثل فنًّا مصغرًا طُوِّرَ لتزيين الكتاب وإثبات ملكيته وبالأخص الإصدارات الثمينة منه. وبالإضافة إلى كونها تقديرًا للحيازة والإشارة إلى الملكية الفكرية، يمكننا القول أيضًا أن لها وظيفة أخرى، وهي حماية الكتاب من اللصوص، ثم إنها تناشد ضمير المقترضين وأحيانًا يكون هذا معبَّرًا عنه بعبارة مثل (لا تسرق هذا الكتاب يا صديقي الأمين خوفًا من أن تكون المشنقة هي النهاية! Steal not this book my honest friend for fear the gallows be thy END!)

وقد أصبح تصميمها شائعًا في أوائل القرن العشرين، والواقع أن أعمال الـ "إكس ليبريس" يمكن أن تكون متنوعة ومبدعة بقدر ما تسمح به مخيلة الفنان والمالك، التي عادة ما تكون مرسومة أو مطبوعة على قطعة من الورق في مختلف الأحجام داخل الغلاف الأمامي للكتاب.

وجدير بالذكر أن مفهومها كان يجب أن يسير جنبًا إلى جنب مع مفهوم القدرة على امتلاك الكتاب، وذلك لضمان وجود "إكس ليبريس" خاصة بالمالك. فقبل تطور الطباعة وتطبيقها على إنتاج الكتب كانت الطريقة المعتادة لإثبات الملكية هي كتابة اسم المالك بداخلها.

شكل 6 يوضح أول عمل "أكس ليبرس" مطبوع في ألمانيا

ويبدو أن بين تطوير الـ "إكس ليبريس" وتطوير المكتبة الشخصية خارج حدود طبقة النبلاء علاقة قوية، ومع ظهور الكتاب الذي صُنِّعَ باستخدام الحروف المتحركة التي أصبحت في متناول الكثير من الناس. ونظرًا إلى أن أول تطور لهذه الطباعة حدث باللغة الألمانية، فليس من الغريب العثور على أقدم عمل "إكس ليبريس" هناك أيضًا. (شكل6)

فقد ظهرت الـ "إكس ليبريس" تقريبًا في الوقت نفسه الذي ظهر فيه الكتاب المطبوع لغرضين؛ الأول هو حماية الكتاب. فتُعَدُّ بمنزلة تذكير قوي للمقترض بمن يمتلك الكتاب. والثاني هو زخرفة الكتاب وإعطائه مظهرًا جماليًّا للانطباع الأول حيث الورقة الأولى من الكتاب.

وأدى ظهور أنواع الطباعة المنقولة التي اخترعها "جوتنبرج" إلى زيادة الكتب المطبوعة ومجموعات الكتب العامة والخاصة المختلفة. فأصبح يحتوي العديد من هذه الكتب على علامات الملكية الشخصية المعروفة عمومًا باسم **"سوبرليبروس*** supralibros" عند تطبيقها على تجليد الكتب مثل علامات الملكية المختومة على تجليد الكتب وهي اسم المالك، أو الأحرف الأولى من اسمه.

البدايات التاريخية لـ"إي إكس ليبريس"

من المعتقد على نطاق واسع أن أقدم علامة لإثبات الملكية في تاريخ البشرية تتمثل في لوحة خزفية من مصر تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى عهد الفرعون "أمنحتب الثالث" في مصر (1391–53ق.م)،وهي لوحات خزفية صغيرة مطلية بالمينا تمثل ملكية الملك وزوجته، ومن المرجح أنه عُثِر عليها في تل العمارنة، ويوجد أحد الأمثلة مع النص الأزرق الداكن على المينا الأزرق الناصع موجود في المتحف البريطاني، ويُترجَم النص الموجود في الجزء العلوي من اللوحة، مع الإطارين الملكيين، "حياة الإله الصالح، نيمبا أت رع، محبوب بتاح، ملك الأرضين، وزوجة الملك تيي، على قيد الحياة" (شكل7)

شكل 7 لوحة خزفية من مصر تعود للقرن الرابع عشر ق.م - طول 62مم×عرض38مم×سمك 4.5 مم _المتحف البريطاني

وتتميز العصور الوسطى بمعرفة رسم شعارات الأسرة على رموز المخطوطات. فكانت تُزيَّن غالبًا بأحرف استهلالية مغطاة بالذهب أو الفضة بالإضافة إلى الألوان الزاهية. ولقد اعتُبِرَتْ المرحلة التالية في تطور الـ "إكس ليبريس" وسُمِّيَتْ بهذا الاسم (شكل 8)

شكل 8 حرف مكتوب بالذهب في مقدمة كتاب

ومع ذلك، نجد أنها قد بدأت بشكلها الجديد في الانتشار مع اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر، إذ إن الحفر على عكس الرسم يمكن أن يُنتِج العديد من النسخ.

والجدير بالذكر أنها ازدهرت في عصر الروكوكو في القرن الثامن عشر، وفي مطلع القرن التاسع عشر، عندما توقف الفن بسبب التغيرات الاقتصادية، وما أعقب ذلك من صعود اجتماعي وسياسي للبرجوازية في أوروبا، عن كونه امتيازًا حصريًّا للطبقة الأرستقراطية ورجال الدين، فتضاءل الاهتمام بها، وبالرغم من ذلك ففي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان هناك ارتفاع جديد وصل إلى ذروته في حقبة الفن الحديث. (شكل9) .

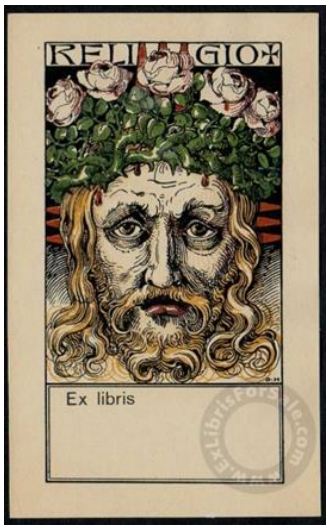

شكل 9 "الفنان هوب أوتو Hupp Otto"

إكس ليبرس - حفر وطباعة ملونة بوسيط اللينولويوم

1930م - 14.5× 7.8 سم

ومما لا شك فيه أنه في القرن العشرين تحولت الـ"إكس ليبريس" إلى شكل من أشكال الفن الراقي. وبدأ الفنانون في إبداء المزيد من الاهتمام بها، وأظهرت إبداعاتهم التيارات الفنية المختلفة، وصُمِّمَتْ بواسطة العديد من الفنانين المعروفين آنذاك، وظهرت العديد من الأعمال الملونة.

علامات الحيازة الذهبية Supralibros

هي ختم الاسم، أو شعار النبالة، أو الأحرف الأولى، على غلاف الكتاب ويمكن استخدامها أيضًا كرمز شخصي، أو الاكتفاء بحرف واحد فقط يشير إلى ملكية الكتاب. على عكس الأختام والـ "إكس ليبريس" داخل الكتاب، فإن غالبية علامات الحيازة الذهبية موجودة في المقدمة على غلاف الكتاب سواء الأمامي أم الخلفي، وقد يكون على كعب الكتاب أيضًا. (شكل 10)

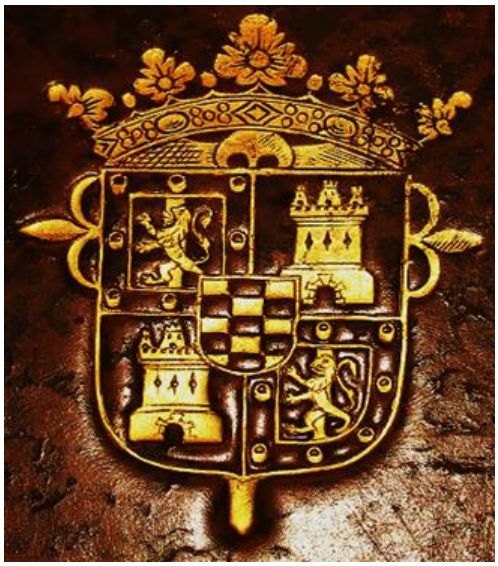

شكل 10علامة حيازة ذهبية ذات طابع شعاري في مقدمة كتاب

وكانت تُوضَع علامة على الكتب باستخدام هذه العلامات "Supralibros" التي شُكِّلَتْ من شعارات النبالة وأيضًا علامات تشابك الحروف التي تُعرَف باسم "مونوجرام Monogram" وهي أسلوب يُجمَع فيه بين حرفين أو أكثر من حروف اللغة بشكل متداخل لتُشكل رمزًا واحدًا، وكانت تُضغَط على الغلاف الجلدي للكتاب بواسطة مكبس معدني. وظهرت إما ملونة وإما ذهبية وإما بلون خلفية الكتاب ، وقد استُخدِمتْ أول علامة للحيازة خلال عصر النهضة عندما أُنشِئَتْ المكتبات الشخصية الكبيرة الأولى، وتوالى استخدامها في المكتبات بعد ذلك، فأصبحت الكتب التي تحتوي على علامات حيازة ذهبية تقدر بقيمة أعلى، كما أمكن تطريز علامات الحيازة يدويًّا كجزء من غلاف القماش أو ختمها بورقة ذهبية. (شكل11)

شكل 11 علامة حيازة مطرزة يدويًّا على غلاف كتاب.

وعلامات الحيازة لا تُنتَج بنشاط ملحوظ في الوقت الحالي، فقد استُخدِمَتْ على نطاق واسع خلال القرنين الخامس عشر والتاسع عشر. ومع أنها قد أُنتِجَتْ للغرض نفسه مثل الـ "إكس ليبريس"، فإنها لم يكن تبادلها وجمعها منتشرًا بدرجة كافية، وذلك نظرًا إلى ختمها على غلاف الكتاب الذي جعل من الصعب فصلها لتجنب إلحاق الضرر بالكتاب، مع أنها تحمل قيمة أكثر بكثير من الكتاب نفسه.

الأمثلة المبكرة لـ "إكس ليبريس"

ظهرت أعمال الـ"إكس ليبريس" في ألمانيا قبل نهاية القرن الخامس عشر بوقت طويل، فنجد ما لا يقل عن ثلاثة أعمال لا شك فيها أنها تؤدي الوظيفة التي كانت مخصصة لها في الأصل، وهي (إثبات الملكية). ثُبِتَتْ على غلاف المخطوطات اللاتينية القديمة التي قد اكتُشِفَتْ.

والجدير بالذكر أن أعمال الـ "إكس ليبريس" الإنجليزية المبكرة وُجِدَتْ بكثرة أيضًا مثل تلك الموجودة في ألمانيا، ولكن مجمل الأعمال المبكرة نادرة، لذلك سيلقي الباحث الضوء أولًا على الأمثلة التي سبقت القرن السادس عشر.

ففي الأديرة التي كانت تحتوي على مكتبات، ونظرًا إلى أنه لم يكن من السهل على الجمهور الوصول إلى مكتباتها؛ كانوا يربطون الكتب بالسلاسل حتى لا تُسرَق، وهذا نوع آخر من الحماية الإضافية لأعمال الـ "إكس ليبريس"، فليس من الغريب أن يعود أقدم عمل معروف إلى راهب يدعى "هيلد براند براندنبورج Hilde brand Brandenburg".

وكُشِفَ عن ثلاثة أعمال ألمانية معروفة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وفي حقيقة الأمر إن اثنين من هذه الأعمال يخصَّان أحد الأديرة يسمى "دير كارثوسيان Carthusian Monastery". (شكل 12)

شكل 12 هانز إيجلر_ فنان غير معروف – حفر على خشب – 1450م- ألمانيا – 143x210مم

فواحد من أقدم أعمال الـ "إكس ليبريس" في ألمانيا كان لـصاحبه الألماني "جوهان كنابنسبرج Johannes (Hans) Knabensberg" الذي يرجع تاريخه إلى عام 01450م، في حين يعتقد بعض المؤرخين أنه ربما يرجع تاريخه إلى وقت متأخر قليلًا في القرن نفسه، نظرًا إلى أن إنتاج الكتب المطبوعة كان لا يزال في أيامه الأولى في منتصف القرن الخامس عشر. والعمل هو نقش صورة لقنفذ ومكتوب عبارة " Hanns Igler das dich ein Igel küss" والتي تعني "أن القنفذ قد يقبّلك" كتورية تفيد أنه رُبَّما قبلة من قنفذ شائك تنتظر أولئك الذين لم يعيدوا الكُتب المستعارة (شكل13)

شكل 13 واحدة من أقدم علامات الـ"إكس ليبريس" التي تعود إلى دير كارثوسيان

وقد استخدم في طريقة تنفيذ العمل أسلوب الطباعة من القالب الخشبي ذي الملمس الخشن، فيظهر لنا قنفذ يحمل زهرة في فمه، ويدوس على مجموعة من أوراق الشجر المتساقطة، ويوجد نص مكتوب يحمل اسم "هانز إيجلر".

وجدير بالذكر أنه في الوقت نفسه الذي قدَّم فيه "هانز إيجلر" هذا العمل، قدَّم "يوهان جوتنبرج" كتابه في عملية الطباعة باستخدام نوع من الحروف المتحركة في جميع أنحاء أوروبا.

وبحلول عام 1480م كانت أعمال الـ"إكس ليبريس" الألمانية هي نقوش خشبية بسيطة في المقام الأول، وتأخذ تصميماتها شكل شعارات النبالة، وقد طُبِعَتْ هذه النقوش الخشبية بالحبر الأسود، غير أن بعضها كان ملونًا بطريقة يدوية.

ويعود تاريخ أقدم عمل "إكس ليبريس" معروف إلى المدة بين عامي (1450_1480) (شكل14) وكان مملوكًا لراهب يُدعى "هيلد براند براندنبورج Hilde brand Brandenburg"، وهو الابن الثاني لعائلة أرستقراطية ثرية من "بيبراخ Biberach" بألمانيا. وفي عام 1506م، تبرع "براندنبورج" بأكثر من 450 مجلدًا إلى أديرة "كارثوسيان" في بلدة "بيبراخ" وكان كل كتاب يحمل إحدى لوحاته الخشبية المنقوشة التي أُوْنَتْ يدويًّا، كما وضع "براندنبورج" توقيعه فوق كل لوحة، كما وضع بالنقش عبارة تطلب إعادة الكتب المستعارة، وتفيد أنه إذا عُثِرَ على هذا الكتاب فإنه يخص "هيلد براند براندنبورج" الذي قدمه إلى دير "كارثوسيان" في بيبراخ.

وكان "هيلد براند" محبًّا للكتب، فهو من أول من زيَّن مجموعته بلمسته الشخصية للكتاب. وتُظهِر المطبوعة الخشبية المنفَّذة نحو عام 01480م، والمعروضة في متحف ومكتبة "روزنباخ" في "فيلادلفيا".

شكل 14الأكس ليبريس الخاصه بهيلراند براندنبورج يصاحبها النص الذي يطلب فيه إعادة الكتاب

وقد عُثِرَ على هذا العمل على قصاصات من الورق، وتظهر عليها أجزاء من الطباعة المبكرة جدًا وملوَّنة بطريقة عشوائية يدويًا، فلُوِّنَتْ تفاصيل الأجنحة باللونين الأحمر والأخضر، مع عباءة الملاك التي تتدفق كما لو كانت في حالة طيران، والتي أعطاها صبغة وردية، ويُعتبَر هذا العمل هو أقدم أعمال الـ "إكس ليبريس" المطبوعة والمعروفة في العالم الغربي.

ومن المعروف أيضًا أن "هيلد براند براندنبورج" كان لديه شعار النبالة الخاص به موضحًا على الـ"إكس ليبريس" الخاص به. وهذا يدل على أنه يمكن للـ"إكس ليبريس" أيضًا أن تنقل إنجازات صاحبها. والطبيعة المرئية للتوضيح تعني أن أولئك الذين لم يتمكنوا من القراءة على الفور يعرفون الكتاب الذي يحتفظون به ينتمي إلى مَن.

وجدير بالذكر أن الروائي الإنجليزي "تشارلز ديكنز* Charles Dickens" (1812 –1870) كانت لديه صورة لأسد وُضِعَ مباشرة تحته اسمه كعمل الـ"إكس ليبريس" خاصة للحفاظ على كتبه الخاصة به. (شكل15)

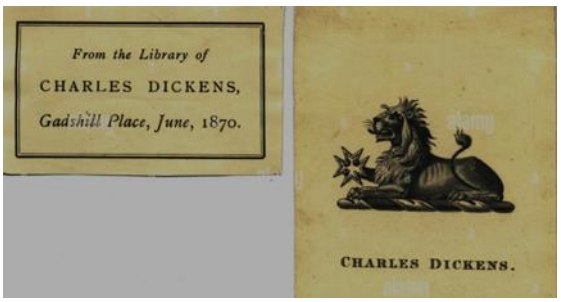

شكل 15الـ"إكس ليبريس" الخاصة بتشارلز ديكينز عام 1870م

وقديمًا لم تكن القدرة على القراءة والكتابة متداولة، فكان من الطبيعي أن يختار صاحب الكتب ما يميز كتبه بسبب المعنى الذي سينقله إلى أي شخص قد يجد الكتاب، سواء كان بإمكانه أن يقرأ أم لا، فكانت الـ "إكس ليبريس" بمنزلة الحل المثالي لإثبات حقوق الملكية.

وبالتدريج بدأ استخدام عادة تزيين دروع الأسلحة عن طريق إضافة زخارف بطراز الروكوكو أو اليعقوبية**، أو بإضافة الوشاح، وبعد ذلك وجدنا رموزًا شخصية بخلاف شعارات النبالة تدخل في تصميم لوحة الكتب. وفي بعض الأحيان، استُبدِلَتْ مثل هذه الرموز بشعارات النبالة بالكامل، حيث انتشر حب الكتب بين الأشخاص الذين لا يحق لهم استخدام شعارات النبالة أو الذين يعتبرون عناصر تصميم أخرى أكثر ملاءمة لهذا الغرض.

وتدريجيًّا نجد أنه قد أفسحت الرمزية التقليدية المبكرة الطريق للصور الشخصية، والزخارف، وأحيانًا الزخارف المعمارية أو الزينة البحتة، وأحيانًا أخرى أشياء مثل أكوام الكتب، أو المناظر الطبيعية أو التصميمات الداخلية للمكتبة، وعلى ما سبق يبدو أنه لم يكن هناك أي قيود على اختيار أشكال الـ "إكس ليبريس" باستثناء الذوق الجيد الذي يفرضه الحجم الصغير للأعمال المعتادة، والذي يتوقف على مهارة الفنان بشكل أكبر مما يدركه عامة الناس.

وتجدر الإشارة إلى أن أقدم الأمثلة المعروفة في ألمانيا هي: (شكل16) (شكل 17)

شكل 16 عمل الـ "إكس ليبريس" الخاص بـ Telamonius of Limbergerفنان غير معروف - حفر على خشب

1498م - ألمانيا

شكل 17 عمل الـ "إكس ليبريس" الخاص بـ Erasmus Strenberger - فنان غير معروف - حفر على خشب وطباعة حروف بالضغط

1518:1530م - ألمانيا

وقد بدأت أعمال الـ "إكس ليبريس" بالانتشار في البلدان المجاورة، مع كون الأمثلة الفرنسية هي التالية ترتيبًا زمنيًّا، ثم دول أخرى مثل إسبانيا وإنجلترا. وقد استُخدِمَتْ أساليب الحفر والطباعة المختلفة في عملية الإنتاج ، أما عن فرنسا فنجد أن

الأمثلة المعروفة هما اثنان من أعمال الـ "إكس ليبريس" الخاص بـ "جاك تيبو Jacques Thiboust" (شكل18) (شكل 19)

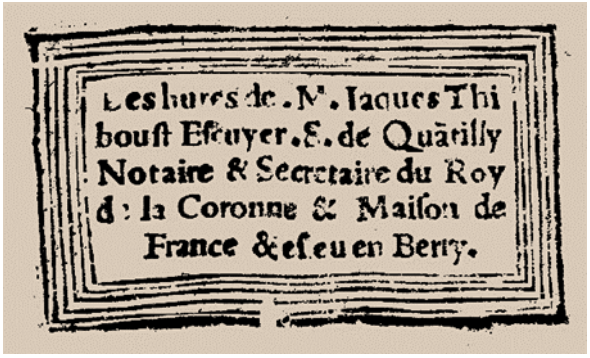

شكل 18 فنان غير معروف-حفر على خشب

1543م – فرنسا

شكل 19فنان غير معروف - حفر على خشب - 1517: 1520م - فرنسا

ويرجع العمل الأقدم في فرنسا إلى العالم "جان بيرتود دي لا تور بلانش Jean Bertaud DeLa Tou r Blanche" ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن السادس عشر، إذ كان عمل الـ "إكس ليبريس" يحل محلَّ ممارسة ختم غطاء السلاح الخاص بالمالك على غلاف الكتاب.(شكل 20)

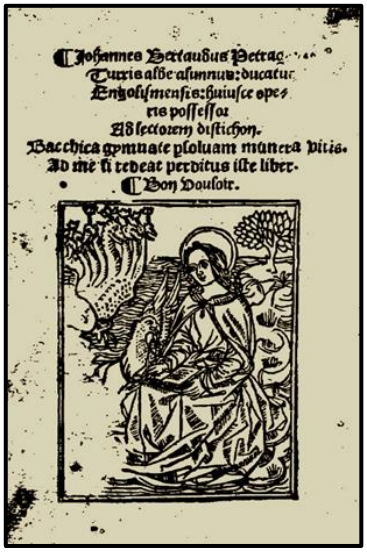

شكل20 عمل الـ "إكس ليبريس" الخاص بالعالم جان برتو دى لا تور -

فنان غير معروف - حفر على خشب - 1529م - 142 × 94 ملم

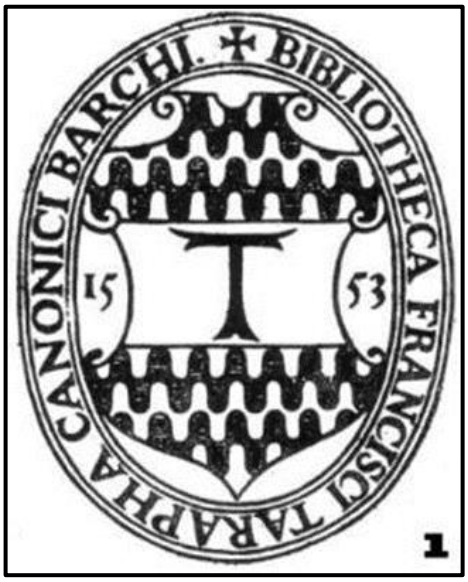

شكل 21 عمل الـ "إكس ليبريس" خاص بـ Francisco de Tarafa

فنان غير معروف - حفر على خشب

1553م - إسبانيا

وأما عن إيطاليا وإسبانيا فهناك عمل خاص "سيزار دي كونتي جامبارا CESARE DEI CONTI GAMBARA" وعمل آخر "فرانشيسكو دي ترفة FRANCISCO DE TARAFA" تُعد من الأعمال المبكرة في تاريخ الـ "إكس ليبريس". ومن دواعي الاهتمام أن إنجلترا التي كان لها ارتباط غني ومبكر بالكتاب المطبوع قد أصبحت مهتمة بالـ "إكس ليبريس" في وقت جاء إلى حد كبير متأخرًا مقارنة بباقي جيرانها في أوروبا.

أقدم الأمثلة المعروفة في إيطاليا وإسبانيا: (شكل 21) (شكل 22)

شكل 22 عمل الـ "إكس ليبريس" خاص

بـ Cesare dei Conti Gambara

فنان غير معروف- حفر على خشب1548_م -إيطاليا

شكل 23عمل الـ "إكس ليبريس" الخاص بـ Conrad Wolfhart المعروف بـ Lycosthènes Rouffach

فنان غير معروف - حفر على معدن - 1550م

فتاريخيًّا نجد أنه قد انتشر استخدام أعمال الـ "إكس ليبريس" من ألمانيا إلى فرنسا، ثم بعد ذلك بكثير إنجلترا والبلدان المنخفضة وأمريكا الشمالية. وبخصوص الأعمال المبكرة في الجزر البريطانية كانت ملكية الكتب حتى أواخر القرن السابع عشر تُمثَّل الأعمال بها بواسطة الغطاء الذي يغلف عادة درع الأسلحة. (شكل23)

ويعتبر أقدم عمل إنجليزي معروف للـ "إكس ليبريس" هو عمل للكاردينال "توماس وولسي* Thomas Wolsey" (1473-1530م) (شكل 24)غير أنها ليست بعمل فني مطبوع، بل هي رسم باليد يرجع إلى عام 1525م مرسوم بعناية وفيها ذراعان للكاردينال إحداهما بها الصليب والأخرى بها الصولجان، وعلى الأطراف اثنان من حيوان أسطوري مجنح بجسم نصفه أسد والنصف الآخر لنسر، وتعلوها قبعة الكاردينال، وكلها ملونة باليد، وهي مصنوعة من الورق، وقد لُصِقَتْ على الجهة الأمامية من الكتاب. ومع ذلك لم تُطبَع لكنها المثال الوحيد المعروف.

ومنذ عام 1574م إلى عام 1650م لم تكن أعمال الـ "إكس ليبريس" الفرنسية كثيرة ولا وصل إلينا سوى عدد قليل من الأمثلة المؤرخة، ولكن يمكننا تحديد عمر اللوحات تقريبيًّا وفقًا للأسلوب المتبع في الزخرفة.

فقد كانت الدروع الفرنسية في الحقبة الأولى مربعة الشكل ومنحنية قليلًا نحو الأسفل، ولكن كقاعدة عامة في الأعمال المبكرة يحمل الداعمون الدرع في وضع قائم على قاعدة ترتفع على كل جانب وتزين مربعاتها الزخارف الرئيسية للدرع، ولكن يبدو أن الزخرفة الأخيرة على الرغم من ثرائها في المظهر، قد تراجعت سريعًا عن الاستخدام بعد عام 1650م.

وقد لفتت أعمال الـ"إكس ليبريس" نظر الفنانين والحفارين الأمريكيين فكانت لوحاتهم مثيرة للاهتمام، لكنها نادرة جدًّا، ولذلك فإن الأعمال الأمريكية المبكرة يصعب تصنيفها. فلم يكن هناك مجموعة كبيرة من الحفارين يمارسون هذا النوع من الفن كما كان الحال في إنجلترا، فاتجه كل فنان إلى أسلوبه الخاص به، ولم يكن لهذه الأساليب الفنية حقبة معينة من الشعبية كما هو الحال في إنجلترا، فأصبح من المستحيل أن نعطي تواريخ محددة لتلك الأعمال، ويعتبر من أقدم الأمثلة المعروفة في أمريكا العمل الخاص بـ"بول ريفير Paul Revere" (شكل25) و "جورج واشنطن George Washington" (شكل 26)

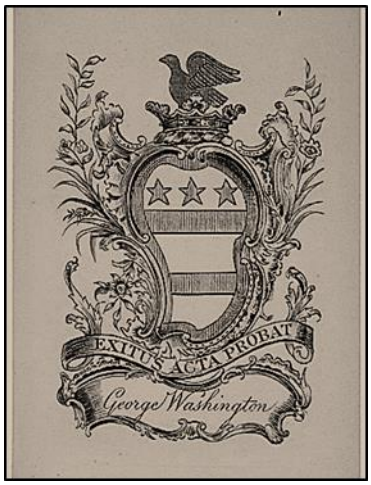

شكل 24 أكس ليبريس " الخاصة بجورج واشنطن عليها نقش لاتيني "الغايات تبرر الوسيلة"

شكل 25 " أكس ليبريس " الخاص ببول ريفير عليها نقش لاتينى"أنا أقاتل من أجل الوطن"

وفي حين أن تصميمات أعمال الـ"إكس ليبريس" كانت مخصصة بشكل أساسي من أجل تحديد مالك الكتاب بوضوح،

فقد استُخدِمَتْ الزخارف الشائعة، بما في ذلك الشارات الخاصة والشارات العائلية بالإضافة إلى الشعارات اللاتينية أو اليونانية التي كانت ذات أهمية شخصية لمالك الكتاب. فيما قد يكون انعكاسًا للنزعة الفردية للمجتمع، بدأت في الجزء الأول من القرن العشرين في رؤية المزيد من تصميمات الـ"إكس ليبريس" الشخصية التي تتجاوز شعارات النبالة العائلية.

وربما تعتبر الـ "إكس ليبريس" الخاصة بـ "جورج واشنطن" هي أكثر الأعمال الأمريكية إثارة للاهتمام، وذلك بسبب شكل وزخرفة الدرع الذي نُقِشَ عليه الاسم، ويعرض الدرع والشعار ذراعي عائلة واشنطن.

وتعتبر الأعمال الأمريكية قليلة نسبيًا، وذلك بسبب الحرائق والحروب التي تسببت في حريق المكتبات بعد الثورة، وأيضًا بسبب قلة الفنانين الحفارين الأمريكيين، فلا يوجد لدينا إلا القليل من أعمال الـ "إكس ليبريس"، ولكن منذ عام 1840م أصبحت أعداد الفنانين المهتمين بهذا النوع من الفن في زيادة مستمرة.

وتختلف أعمال الـ"إكس ليبريس" بشكل كبير في الحجم، ويختلف ذلك باختلاف المجلد التي تكون مخصصة له؛ ففي المدة التي تلت مباشرة اختراع الطباعة، عندما نُشِرَ العديد من الأوراق كبيرة الحجم (شكل 27)، صُنِعَتْ أعمال "إكس ليبريس" كبيرة تتطابق معها. فالكتب التي أُنتِجَتْ خلال عصر الطباعة اليدوية (تقريبًا حتى أوائل القرن التاسع عشر) كانت تتكون من أوراق كبيرة طُبِعَتْ عليها عدة صفحات دفعة واحدة، وتُقْلَب بعد ذلك الصفحة، وتُطبَع الصفحات المقابلة على الجانب الآخر من الورقة.

شكل 26 نموذج للورق كبير الحجم المطبوع عليه عدة صفحات من كتاب

يمكن تنفيذ أعمال الـ "إكس ليبريس" بتقنيات الطباعة الخاصة مباشرة على الكتب أو بشكل منفصل على الورق ثم لصقها على الكتب لاحقًا، ونظرًا إلى أنه مصمم خصوصًا للكتب، فإن حجمها صغير وفقًا لحجم الكتاب، ويعد الحجم الأكثر انتشارًا في الوقت الحاضر 6:7 سم للحافة القصيرة و8:10 سم للحافة الطويلة. غير أنه لا توجد قاعدة لحدود العمل، فمن الممكن أن تكون مربعة، أو مستطيلة أو دائرية أو حرة بأي شكل من الأشكال. الأمر متروك في النهاية لاختيار الفنان، ويجب ألا يكون ورق الطباعة سميكًا للغاية، وذلك لأنه سوف يُلصَق داخل الكتاب.

النتائج:

1.الـ "إكس ليبريس" كانت وسيلة فنية مهمة من وسائل إثبات الملكية قديمًا.

2.السنوات التي تتراوح من 1885 إلى 1930م كانت أعوامًا ذهبية لـ "إكس ليبريس"، ثم نعود إلى الصمت التام تقريبًا حتى تجدد الاهتمام الذي ظهر في نهاية القرن العشرين.

3.كان للـ"إي إكس ليبريس" محتوى جمالي وأُنتِجَتْ وفقًا لمبادئ تقنيات الطباعة، ولذلك فهي اليوم تعامل كأعمال فنية مستقلة مطبوعة قائمة ذاتها وتُعرَض في المتاحف في مختلف أنحاء العالم.

التوصيات:

يوصي الباحث...

1.دور النشر بإعادة فكرة Ex libris من خلال الفنانين المعاصرين لإعطاء خصوصية أكبر للكتب ورفع قيمتها المعنوية ورفع الذوق العام للقراء والمثقفين.

2.الهيئات والمؤسسات الثقافية والفنية لعمل معارض دورية لهذا النوع من الأعمال الفنية ورصد الجوائز القيمة لها.

3.بالتفكير في Ex-libris كأحد المواد التعليمية في المدارس. نظرًا إلى صغر حجمها، فهي قابلة للتطبيق في حجرة الدراسة باستخدام تقنيات الحفر والطباعة المختلفة لذلك، فهي موضوع مناسب جدًا لأنشطة الفصل الدراسي.

المراجع العربية:

1.سفندال (1959)- تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، الهيئة العامة للكتاب .

المراجع الأجنبية:

2- Pektaş, H., Ex libris. 1996: Yapı Kred3- Almack, E., Bookplates. 190

3- EX-LIBRIST Issue 4 - December 2015, Tomak, Tomak, “Thesis Antithesis And Synthesis Ekslibris Art And Interior Design”

4- Bowdoin, W.G.,(2017) The Rise of the Book Plate. December 18, Westphalia Press

5- Keenan, J.P., BOOKPLATES THE ART OF THIS CENTURY. First Edition Cambridge dictionary ,International Journal of Ex-libris / Vol. 3 / Part 6

6-Tekcan, E.,(2011), Un moyen de communication artistique: l'ex-libris. Synergies Turquie, 1(4): p. 85-95

7- Castle, E., English Book-plates: Ancient and Modern. 1894: G. Bell & sons

8-Leiningen-Westerburg KE. (2014),German Book-plates: An Illustrated Handbook of German & Austrian Exlibris: George Bell & Sons; 1901 ,EX-LIBRIST Issue 1 - June 2014, Kırışoğlu, “The Three Facets of Ex-libris”

9-EX-LIBRIST Sayı 5 - June 2016, Keş, “Form, Content and Aesthetics In Ex-libris”

10- EX-LIBRIST Issue 6 - January 2017, Öz Pektaş, “Supralibros”